

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في الأذنين

للدكتور محمد هيثم خياط

لأنني من المعجبين بالأخ الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، بادرت إلى كتابة هذا التعقيب، خشية أن يسارع المعجبون به وهم أكثر، إلى الاقتناع بما كتبه في العدد المزدوج (٢٨-٢٩) من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (ص ١٤٢).

فقد قال حفظه الله في حديثه عن القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التانيث في المصغّر الذي خلا أصله من العلامة: ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة، ولذلك صغروا "أذن" على "أذنين" فقالوا الأذنين الأيمن، والأذنين الأيسر، كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغر مقابلاً لبطين في قولهم البطين الأيمن والبطين الأيسر اه".

وأول ما أريد أن أنبه عليه، أن "الأذينة" التي يُرغّب الأستاذ الفاضل في استعمالها هي عضو آخر غير "الأذنين" فالأذنين atrium هو ذلك الجوف القلبي الذي يعلو البطين. وفي القلب أربعة أجواف أذنان وبطينان. ولكن تتصل بكل "أذنين" من الأعلى والخلف "أذينة" auricula تشبه الأذن الصغيرة، وقد يقال لها "زائدة الأذنين".

وأدنا القلب اللتان كان يتحدث عنهما اللغويون والأطباء العرب، ليستا باatria وإنما هما ال "auriculae" ففي كتاب خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت: "وفي القلب أذناه، وهما في ناحيته يشبهان بالأذنين" وأدنا القلب - في القاموس زَيْمَتَان في أعلاه" وهما كذلك في قانون ابن سينا "زيدتان على فوهتي [القلب] كالأذنين...". (المقالة الأولى من الفن الحادي عشر من الكتاب الثالث ص ٤١١ في طبعة رومية)... وهما "زائدتان شبيهتان بالأذنين يسميان أذني القلب..." (كامل

الصناعة الطبية لعلّي بن العباس، ص ١٠٨) ولم يكونوا قد شرحوا القلب تشريحاً دقيقاً من الداخل ليعرفوا الـ "atrium" حق المعرفة، فهو لا يميز في ظاهر القلب وإنما تميز زائداته فحسب.

وليس يخفى أن كلمة "auricula" أحقُّ بكلمة "الأذينة" لأنها تصغير "auris" في اللاتينية ومعناها "الأذن". أما كلمة atrium التي حلت محل auricle (الإنكليزية) في التسمية التشريحية الحديثة فهي من اللاتينية، وهي صحن الدار الرومانية القديمة، تتصل به من هنا وهناك أجنحة وغرف وممرات، كما أنها أطلقت أيضاً على أي ساحة مفتوحة تحيط بها أروقة ذات عمد، وهي بَيِّئة توجد عادة فُدامَ المعبد.

وقد وجد "المعاصرون" أن من الخير أن لا يناوأ كثيراً باللفظ المقابل لكلمة atrium عن اللفظة التي شاعت من قبل عند قدمائنا، ويؤدوا المعنى الجديد في الوقت نفسه، فاختاروا تصغير "الأذنين" بفتح الهمزة وكسر الذال المعجمة) وهو المكان الذي يصل إليه الأذان، وهو الأذن أيضاً، وهو مذكر يصغر تصغير ترخيم على أذنين" (بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة).

وبعد، فقد أشار الأستاذ الفاضل في حاشية الصفحة الأنفة الذكر من مقاله القيم، إلى أن إلحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة قاعدة شاملة عامة في العربية، وأنه لم يقف على الشواذ منها إلا على كلمة "قوس" وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تذكرها. ولكنهم قالوا في تصغيرها قويس ولم يؤثر عنهم قويسة".

ولأمر ما اختار الأستاذ هذا المجال. وإلا فالقوس - كما الجوهرى - يذكر ويؤنث، فمن أنت قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس". وفي العربية كثير من الأمثلة على مؤنثات لا تؤنث مصغراتها، يحضرنى منها الآن أربعة:

١- الدرع "وتصغير الدرع: تُرِيع بغير هاء على غير قياس لأن قياسه بالهاء، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب. ابن السكيت: هي درع الحديد" (اللسان: درع) على انه قد ورد تذكير الدرع فحكى اللحياني: درع سابغة ودرع سابغ، وقال سابغ، وقال أبو الأخرز:

مقلصا بالدرع ذي التغضن يمشي العِرضُني في الحديد المتقن
٢- الضحى، "والضحى أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة (اللسان: ض ح ي) وأنشد للنابغة الجعدي:

كَأَنَّ الْغَبَارَ الَّذِي غَادَرْتِ ضُحَيًّا دَوَاخِنَ مِنْ تَتَضَبِ
الشاهد فيه تصغير ضحى على ضُحَى، وكان القياس أ، تصغر بالهاء لأنها مؤنثة، إلا أنهم صغروها بغير هاء لئلا تلتبس بتصغير ضحوة" (شرح الشواهد، حاشية الصفحة ١٣٨/٢ من كتاب سيبويه).

٣- الناب، وتصغير الناب من الإبل - وهي مؤنثة - يُيِّب بغير هاء... فيقال سميت لطول نابها فهو كالصفة فلذلك لم تلحقه الهاء، لأن الهاء لا تلحق تصغير الصفات..."

٤- العروس، "وفي حديث ابن عمر أن امرأة قالت له إن ابنتي عُرِّيس وقد تمعط شعرها، هي تصغير العروس ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثاً لقيام الحرف الرابع مقامه"

وفي الأمثلة الثلاثة الأخيرة تعلّلت ثلاث: "عدم الالتباس" و"شبهة الصفة" و"قيام الحرف الرابع مقام التأنيث" فإذا كانت التعلّة الأولى معتبرة، وهي كذلك إن شاء الله، فما كان أحرى أن تصغر "الأذن" على "أذنين" لئلا تلتبس بتصغير "أذنة" وهي خوصة الشام، وواحدة التبن، والشهوة.

ومعذرة لأخي الأستاذ إبراهيم وشكراً، فقد أتاح لي فرصة لرفع بعض الملام عن أصحابنا "المعاصرين".

تساؤلات

للأستاذ حسن الكرمي

لندن

(٣)

ذكرت في العدد السابق لمجلة المجمع الموقر أن صيغة (أفعل) من الألوان تأتي من الفعل (فَعَلَ يَفْعَلُ فَعَلًا). وقلت في التمثيل على ذلك:

(زَرِقَ، يَزْرِقُ، زَرَقًا) فهو أزرق

و (خَضِرَ يَخْضِرُ خَضْرًا) فهو أخضر

و (سَوَدَ يَسْوَدُ سَوَدًا) فهو أسود

وقلت إن المعاجم لم تذكر اشتقاق أبيض وأحمر وأصفر وما كل شيء تذكره

المعاجم. وتقول المعاجم بحسب هذه القاعدة.

(أَدِمَ يَأْدِمُ أَدَمًا) فهو آدم

و (بَقَعَ يَبْقَعُ بَقْعًا) فهو أبقع

و (بَقَعَ يَبْقَعُ بَقْعًا) أبقع

و (دَعَجَ يَدْعَجُ دَعَجًا) فهو أدعج

و (حَوَّرَ يَحْوِرُ حَوْرًا) فهو أحور

و (حَوِيَ يَحْوِي حَوًى) فهو أحوى

و (دَلِمَ يَدْلِمُ دَلْمًا) فهو أدلم

وهكذا في: أصدأ وأقنى وأجهد وأشمط وأكدر وأكمل وأعقر وأنمش، وأكلف

وأسحم وأغد وغيرها، وجميع هذه مشتقة من الصيغة ذاتها، والمعاجم تذكر هذا الاشتقاق.

ولكنها لا تذكر اشتقاق أحلك، وأغبر. وأغبس وأدبس وأدهم وأرقط وأريش

وأرقش وأريد وأغبش وأرهم وأكل وأدجن وأحمم وأرمد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان

يجب ذكر وأدجن وأحمم وأريد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر صيغة الفعل

لكل من هذه الألوان. وأي معجم جديد يجب أن لا يغفل اشتقاقها.

ونخرج من كل ذلك بأن (أفعل) من اللون هي من صيغة (فعل يفعل فعلاً) لا غير، وأية صيغة أخرى يجب أن لا تكون صحيحة. وانظر الآن إلى الصيغ التالية الموجودة في المعاجم.

(سَمِرٌ يَسْمُرُ سُمْرَةً) فهو أسمر. وفي قول آخر (سَمِرٌ يَسْمُرُ سُمْرَةً)

(حَلَكٌ يَحْلِكُ حَلَكًا) فهو حالك (بدلاً من أحلك)

و (كَهَبٌ يَكْهَبُ كَهَبًا) فهو كاهب (بدلاً من أكهب)

و (جانٌ يَجُونُ جَوْنًا) فهو أجون

و (جَأَى يَجَأَى جُؤَةً) فهو أجوأ (بدلاً من أجأى) وبدلاً من (جئى يجأى جأى)

و (حَلَكٌ يَحْلِكُ حَلَكًا) فهو حالك (بدلاً من أحلك)

و (رَمَكٌ يَرْمُكُ رُمَكَةً) فهو أرمك

و (خَضِبٌ يَخْضِبُ خُضُوبًا) بدلاً من (خَضِبٌ يَخْضِبُ خَضْبًا) ولا ذكر في

المعاجم لصفة (أخضب)

و (كَمِدٌ يَكْمَدُ كَمْدًا) فهو كامد (بدلاً من أكمد للون)

و (كَمِتٌ يَكْمِتُ كَمْتًا) فهو أكمت (وهذا الفعل غير موجود)

و "طَلَسَ يَطْلُسُ طُلْسَةً وَطَلَسًا) دون ذكر أطلس

و (قَهَبٌ يَقْهَبُ قَهَبًا) فهو قهب (بدلاً من أقهب)

والقصد من ذلك كله (١) جميع الألوان تكون على صيغة (فعل يفعل فعلاً)

وما خالف ذلك فهو غلط.

و (٢) أي فعل يخالف ذلك يجب تصحيحه، وإذا لم يذكر فيجب ذكره. وعلى

هذا يجب أن تقول: (بَيْضٌ يَبْيِضُ بَيْضًا).

و (حَمِرٌ يَحْمَرُ حَمْرًا)

و (صَفِرٌ يَصْفَرُ صَفْرًا)

و (سَمِرٌ يَسْمُرُ سَمْرًا)

و (جَوْنٌ يَجُونُ جَوْنًا)

وقد اقتصر على هذا الوزن في الألوان الجوهري وابن سيده وابن القوطية وابن
القطّاع.